إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثالثة عشرة ـ العدد الثانی والخمسون ـ شتاء ١٤٠٢ش/كانون الأول ٢٠٢٣م

صص ١٢٧ ـ ٩٧

ملامسة المحظور فی شعر النواسی؛ دراسة نفسية اجتماعية

جواد عبدروئيانی*
شاكر العامری (الكاتب المسؤول)**
صادق عسكری***
محمد هادی مرادی****

الملخص

يرتبط فن الشـعر بظاهرة المحظور وملامسته ارتباطاً وثيقاً، وهذه ميزة ينفرد بها الشعر أكثر من غيره من الفنون الأدبية. إن ظاهرة ملامسـة المحظور تشـيع فی العصور التی تشـهد التطورات والثورات المختلفة ومما يؤكد عليه التاريخ أن العصر العباسـی كان يتسم بسـيطرة الثورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسـية، وخاصة الفكرية التی تعتبر أكثرها تأثيراً علی شـيوع تلك الظاهرة. تهدف دراستنا هذه البحث عن مظاهر ملامسـة المحظور عند النواسی، والظروف المؤدية إلی انتشار تلك الظاهرة فی العصر العباسی الأول، وكذلک الأسباب التی دفعت النواسی إلی ملامسة المحظورات وتحطيم التابوهـات بما فيها الأدبية والاجتماعية والاعتقادية، متخذة المنهج الوصفی التحليلی والتحليل النفسی الاجتماعی. وتشير نتائج البحث إلی أن النواسی، من خلال ملامسته للمحظور وهدم القيم والأعراف، كان يرنو إلی بناء قيم وأعراف جديدة يخلق بالمجتمع الجديد أن يتحلی بها، كما يسـتهدف إثارة كفاح مبرمج شامل ضد كل بالی مهترئ لا ينتج إلا عناءً لمن يريد أن يعيش مثله عيشـة عصرية. وكان منطلق ملامسته للمحظور القوّة المسـتمدّة من العلم والفكر والثقافة والشجاعة ولا الضعف، ونفسية الشاعر التی هی نفسية ثائرة محتنقة من الأوضاع الاجتماعية الممتلئة بأنواع العادات القديمة البالية والرذائل الأخلاقية، ودوره كناقد اجتماعی عالم بأمراض اجتماعية تفشت فی مجتمعه، وكون مجتمعـه مصاباً بأنواع الأمراض الاجتماعية والأخلاقيـة مثل الرياء والعصبية والمفاخرة وغيرها التی يراها النواسـی أخطر وأقذر مـن الأمراض التی حذر رجل الدين المجتمع منها مثل الانغماس فی الملذات وارتكاب ما سماه الدين محرماً.

الكلمات الدليلية: الشعر العباسی، أبونواس، ملامسة المحظور، التابو.

*. طالب بمرحلة الدكتوراه فی اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، ايران
**. أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، ايران
sh.ameri@semnan.ac.ir
***. أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، ايران
****. أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبايی، طهران، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٤/٠٨/١٧ق تاريخ القبول: ١٤٤٥/٠٣/١٣ق

مقدمة

التابو أو المحظور هو ما يعتبره المجتمع من المحرمات وليس حتما وفق الشريعة التى يديـن بها المجتمع، فالتابو أى خط أحمـر لا يقبل المجتمع تجاوزه بغض النظر عن مدى كونه مبررا أو حتى متناسـقا مع القوانين والشرائع. بعبارة أخرى هو ما لا يحل انتهاكه وما هو محرَّم مسُّه. (انظر: معجم المعانى وموسوعة ويكيبيديا)

ونعنى بملامسـة المحظور الوقوف على[١] التابوهـات والمحرمات والمحظورات والتفكر فيهـا والتمرد عليهـا ورفضها أحياناً وخرقهـا وتحطيمها أحياناً أخـرى، وهى ظاهرة إنسانية مستمدة من واقع الفرد داخل المجتمع، وهى وما تبعها من رفض التقاليد وخرق الأعـراف وتحطيم التابوهات، تحمل فى طياتها قـدرات كامنة تؤدى إلى تحرير رقاب الإنسـان من رباق العبودية مما يدعو أصحـاب الأرواح المتمردة والطالبة للحرية إلى اللجوء إليها فى مواجهتهم للتقاليد والأعراف.

ومن صفة المجتمع الإنسـانى أن تشـيع فيه أعراف وقيم مختلفة منها صحيحة مبنية علـى مبـادئ العقلانية أو الأخلاق ومنهـا خاطئة مبنية على مزاعـم وأكاذيب. وهذه الخاصية نابعة من ذات المجتمع الإنسانى حيث يتشكل من مختلف الأناس والأشخاص والأجناس بمختلف أفكارهم ومعتقداتهم وأمزجتهم وأعمارهم وحالاتهم النفسية.

وقد بسطت ظاهرة ملامسـة التابوهات جناحيها على بعض العصور الأدبية بشكل أوسـع وأعمق، ومن تلك العصور، العصر العباسى الأول، وقد كان أبو نواس، من أكثر شعراء ذلك العصر تمرداً على التقاليد السائدة، أدبياً أو اجتماعياً أو اعتقادياً.

أسئلة البحث

نحاول ضمن دراسـة مظاهر ملامسـة المحظور عند النواسـى، والأسباب والظروف المؤدية إليها، الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل ملامسة النواسـى للمحظورات كانت انفعالاً عاطفياً أو كان يقصد وراءها شيئاً آخرخأخرأخر؟
- ما دفع النواسى إلى ملامسة المحظور؟ هل هى ناتج عن ضعف أو نقص فى نفسه

١. جاء فى معجم المعانى ملامسة الحقيقة أى الوقوف عليها.

أو فكره أو ثقافته كما يقال أو دفعه إليها شيء آخر؟

فرضيات البحث

- نرى أن ملامسة النواسى للتابوهات ليست انفعالاً عاطفياً يستجيب لدوافع ذاتية عابرة، بل هى فلسفة نابعة من ضمير شاعر عاش واقع حياته وحاول أن يعكس المشهد الحقيقى لتلك الحياة، ونابعة من روح متمردة طالبة للحرية استهدفت إثارة كفاح مبرمج شامل ضد كل بالى مهترئ وضد القيم والمعايير التى كانت تتقلب فى مجتمعه.
- وكذلک نرى أن منطلق ملامسته للمحظور هو القوة المستمدة من العلم والفكر والثقافة والشجاعة، ولا الضعف الناتج عن الحالات النفسية التى انتسبها إليه بعض الباحثين ولا فقد أو نقص انتسبه إليه من اتهموه بالزندقة والمجون والإباحة.

منهج البحث

- وأما المنهج المختار لدينا فهو المنهج الوصفى – التحليلى والتحليل النفسى الاجتماعى، حيث استفدنا من دراسات السابقين حول شاعرنا وشخصيته وتاريخه وأفكاره وسلوكه الشخصى والاجتماعى والأدبى؛ وكذلک ديوانه الذى يقدّم بين أيدينا ما مرّ به صاحبه طيلة حياته الأدبية.

سابقة البحث

اهتم الباحثون بموضوع التمرد فى الشعر العربى فى مختلف أدواره، وقدّموا دراسات قيمة حوله، ومنهم عمر فاروق الطباع فى كتابه "الرفض فى الشعر العربى المعاصر" (مؤسسة المعارف، بيروت: ٢٠٠٦) ويوسف الحناشى فى كتابه "الرفض ومعانيه فى شعر المتنبى" (الدار العربية للكتاب، تونس: ١٩٩١)، وسالم محمد ذنون على العكيدى فى كتابه "جماليات الرفض فى الشعر العربى، مقاربة تأولية فى شعر أبى تمام" (دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، الأردن: ٢٠١٥) ومحمد أحمد العزب فى أطروحته المقدمة للدكتوراه "ظواهر التمرد فى شعر العربى المعاصر" (جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب

والنقد: ١٩٧٦)، إلا أن موضوع ظاهرة ملامسة المحظور فى الشعر النواسى، بالتحديد، ما زال لم يدرس دراسة تفصيلية معمقة رغم أهميته فى الحياة العربية وأدبها، تأثيراً وتأثراً، ولا نكون خارج إطار الصدق لو ادّعينا أن الدراسات التى سبقتنا فى هذا المجال لم تعط الموضوع حقه كما يستحق وكما ينبغى، لو نستثنى ما قام به محمد صديق بغورة فى أطروحته التى قدمها لنيل شهادة الدكتوراه تحت اسم"نزعة الرفض وأثرها فى تشكيل الشعر العباسى؛ أبو العتاهية وأبو نواس وأبو تمام أنموذجاً، دراسة أسلوبية" (جامعة سطيف ٢، كلية الأداب واللغات، ٢٠١٢ -٢٠١٣)، إلا أنه نظر إلى الموضوع من منظار آخر غير الذى نظرنا إليه منه. وما درسه صالح على سليم الشتيوى فى مقالة "ظواهر من التمرد فى نماذج من شعر العصر العباسى الأول" (مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد(١+٢)، ٢٠٠٤) ويوسف هادى بور فى مقالتيه "خمريات أبى نواس، دراسة فى المضمون" (موقع ديوان العرب، الأحد ١٧ أبريل ٢٠١١) و"نقد آراء النُقّاد القدامى والمُحدثين حول النواسى" (إضاءات نقدية، السنة السادسة، العدد الحادى والعشرون، آذار ٢٠١٦) ومليكة فريحى فى "أبو نواس والتغزل بالمذكر" (عود الند، السنة ٨، العدد ٨٧: ٠٩/٢٠١٣) ولكنها ليست دراسة متخصصة توفى الموضوع حقه أو أنها تناولت جانباً من الموضوع فحسب.

الظروف المؤدية إلى شيوع ظاهرة ملامسة المحظور فى العصر العباسى

إن لظاهرة ملامسة المحظور أسباب كانت متوفرة فى العصور التى شهدت التطورات والثورات المختلفة أكثر من غيرها من العصور ومما يؤكد عليه التاريخ أن العصر العباسى كان يتسم بسيطرة الثورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وخاصة منها الفكرية التى تعتبر أكثرها تأثيراً على انتشار تلك الظاهرة.

نقرأ فى مقدمة ديوان النواسى أنه «لما اطمأن العباسيون تغيرت الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، وشدّ ما سيطر على الناس شعور مبهم عنيف شكّكهم فى كل القيم والأوضاع. ولم تكن النهضة الفكرية والعلمية فى ذلك الحين إلا مظهرا كريما من مظاهر الترف والنعيم الذى لوّن هذا العصر كلّه. ولعلّ هذه النهضة كانت نتيجة حتمية لطبيعة الحياة التى كان الخلفاء يرقبون تطورها عن كثب حين أمروا بترجمة

الكتب الهندية والفارسية واليونانية والسريانية إلى العربية.» (أبونواس، ٢٠٠٧م: ٧-٨)

ويشير شوقى ضيف إلى انتشار ذلک الترف فى المجتمع العباسى بقوله: «وكانت خزائن الدولة هى المعين الغَدِق الذى هيأ لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض... وكانت هذه الأنهار الدافقة من الأموال تصب فى حجور الخلفاء ومن يحفّ بهم من بيتهم ومن الوزراء والقواد والولاة والعلماء والشعراء والمغنين.» (شوقى ضيف، ٢٠٠٤م: ٤٥) إلا أنه، فى نفس الوقت، يرسم لنا صورة واضحة عن الفوارق الطبقية الفاحشة بين طبقة الأرستقراطيين وعلى رأسهم الخليفة ومن حفّ به وبين عامة الناس بقوله: «ولا ريب فى أن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسى ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن أتصل بهم من الفنانين؛ شعراء ومغنين، ومن العلماء والمثقفين، وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعا بأسباب النعيم، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق ... فكانت هناک طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد، وطبقات قتِّر عليها فى الرزق ...؛ واضطرب أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم.» (المصدر نفسه)

إلا أنه كانت، إلى جانب اللذات الحسية، توجد اللذات العقلية «كانت تترجم لهم آثار الفرس وآثار اليونان، فيقرؤون ويفهمون ويتأثرون فى حياتهم العلمية بما يقرءون وما يفهمون، ولم يكن من شأن هذه الآثار المترجمة أن تؤيد سلطان الحياة القديمة، أو ترغب فيها وإنما كانت تصرف عنها وتنفر منها... فلا جرم آثر هؤلاء المحدثون من العرب عيشة الفرس وغير الفرس وتفكيرهم على عيشة العرب وتفكيرهم، ووجد هؤلاء الشعراء والكتّاب والفلاسفة الذين يسخرون من كل قديم ويحتفلون بكل جديد.» (طه حسين، لا تا: ٢٩)

فإذن، كما رأينا، لقد تضافرت، فى ذلک العصر، الظروف والأسباب الإجتماعية والاقتصادية والسياسية بما فيها الدعة والترف، واختلاط الأمم والحضارات والنهضة الفكرية التى تمخض عنها ضعف سلطان الدين. وذلک الاختلاط الحضارى والفكرى وإلى جنبه ذلک الميل النفسى المخبأ والمكنون فى ضمير البشر الذى يغريه دائما نحو الميل إلى الرغبات والتطلعات، وأحياناً المغامرات غير المحدودة؛ ساهما فى سيادة

أســاليب الحياة والتفكير والبيان الجديدة على التقاليد والقيم القديمة الدارســة التى لا تقبلها الحياة الجديدة ولا الفكر الجديد بل ينفر منها ويرفضها.

ونأخذ القصف بآيينه (الرافض للمعايير والخارق للأعراف)

يعتبر النواســى من أشــهر شــعراء العرب فــى اللهو والمجون والخلاعــة والتهتك والتمرد على التقاليد والرسوم السائدة فى المجتمع وخرق الأعراف وتحدى التابوهات الصارمة، ما نســميه ملامســة المحظور، حيث نرى حياته مليئــة بالعبث والاثم والمجون والتهتــك والتردد على الحانات ومعاقرة الخمر ومعاشــرة الغلمــان والجوارى وسماع القيــان والمعازف، وكل ذلك رغم مكانتــه العلمية التى تفوق نظائره، (انظر: أبو نواس، ٢٠٠٩م: ١١-١٣) ومما لفت النظر أنه «وفى كلّ ذلك ينظم الشّعر، يصف فيه ما هو عليه من تلك الحال.» (المصدر نفسه: ١٣)

بِدَيــرِ بَهــرَذانَ لــى مَجلِــسٌ وَمَلعَــبٌ وَســطَ بَســاتينِه ...
وَطافَ بِالــكَأسِ لَنا شــادِنٌ يدمِيه مَــسُّ الكَفِّ مِن لينِه ...
فَلَــم نَزَل نُســقى، وَنَلهــو بِهِ وَنَأخُــذُ القَصــفَ بِآيينِــهِ
حَتّى غَدا السَكرانُ مِن سُكرِهِ كَالمَيــتِ فــى بَعــضِ أَحايينِهِ

(المصدر نفسه: ٦٤٥)

والدراس لأشعار النواسى يشم ويتذوق، وبل يرى بملء عيونه، أنه يرفض الخضوع للأجواء والأعراف الســائدة والمعايير الصامدة ويتمرد على المفاهيم الثابتة ويثور على الموروث الدينى والفنى محاولاً تقديم تفسير واقعى لنظرته إلى الحياة والوجود الإنسانى. (انظر: طحيمر العلى، ٢٠٠٤م: ٤٤)

أنظر كيف يفضّل الطــلاح على الصلاح والأثم على البرّ وكيف ينغمس فى الملذّات وكان يجهر بذلك بافتضاح وهو يعيش فى مجمتع دينى ينفر من الطلاح ويفخر بالصلاح ويرفض اللهو ويفضل الزهد وترك الملذات على التمتع باللّذات:

لاحَ إِشــراقُ الصَباحِ فاطــرُدِ الهَــمَّ بِــراحِ
لَســتُ بِالتــارِكِ لَذّا تِ النَدامــى لِلصَّلاحِ

قُل لِمَن يبغی صَلاحی بِعتُ رُشدِی بِطَلاحی[١]
ظَفِـرَت كَـفُّ أَريـبٍ بـاعَ بِـرّاً بِجُنـاحِ
أَطيبُ اللَـذّاتِ ما كا نَ جِهـاراً[٢] بِافتِضـاحِ

(أبونواس، ٢٠٠٩م: ٢١١-٢١٢)

١. هناک قرابة فی المعنی والمبنی بین هذین البیتین والأبیات التالیة لحافظ الشیرازی والاقتباس فیهما محتمل:

صـلاحِ کار کجـا و منِ خـراب کجا ببین تفاوتِ ره کز کجاسـت تا به کجا
چه نسبت است به رندی صلاح و تقوی را سمـاعِ وعـظ کجـا نغمهٔ ربـاب کجا

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٨٠)

الترجمة: أین صلاح الحال من خراب حالی ..... أین؟! فانظر قدر تفاوت الطریق من أین إلی.....أین؟! وأی علاقة بین الخلاعة، وبین الصلاح والتقوی ..... وأین سماع الوعظ، من نغمة الرباب ..... أین؟! (الشواربی، ٢٠٠٩م، ج ١: ٦٥)

صلاح از ما چه میجویی که مستان را صلا گفتیم به دورِ نرگسِ مستت سلامت را دعا گفتیم

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٤٣٨)

الترجمة : أی صلاح تریده منا وقد صلینا ابتهالا للسـکاری الآثمین...؟! ودعونا بالسلامة لأنفسنا ولهم من نظرة طرفک المخمور الحزین...! (الشواربی، ٢٠٠٩م، ج ٢: ٢٠٧)

هذه هی ترجمة الشـواربی، لکننا نعتقد أن الشـواربی کان یعانی مشکلة عدم الفهم الصحیح لعبارتی "صـلا گفـتن" و "دعا گفتن" (نـک: وحیدیـان، ١٣٩٥، ج ٤: ٣٤٥٩)، والترجمـة الصحیحة للمصرع الأول هـی: لماذا تبحث فینا عن الصلاح (لا تبغی صلاحی) وقد لبینا دعوة السـکاری إلی مشـاربة الخمر، وللمصرع الثانی: وودّعنا سلامتنا (الدینیة والجسدیة) بطرف عینک السکرانة التی تشبه زهرة النرجس. (وبتلبیتی تلک وتودیعی هذه، بعتُ رشدی بطلاحی)

صَـلاح و توبه و تقوی ز ما مجو حافظ ز رند و عاشق و مجنون کسی نیافت صلاح

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٦١١)

الترجمة: فلا تطمع یا "حافظ" فی أن تجد فینا صلاح التوبة والتقوی فلم یجد أحدٌ فی العربید والعاشق والمجنون ... توبةَ الصلاح..!! (الشواربی، ٢٠٠٩م، ج ١: ١٤٩)

٢. هناک قرابة فی المعنی والمبنی بین هذا البیت والبیتین التالیین لحافظ الشیرازی والاقتباس فیهما محتمل:

سرم خوش است و به بانگ بلند می‌گویم که من نسـیم حیات از پیاله می‌جویم

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٤٤٨)

الترجمة: إن رأسی هانئة سکری، وأنا فی صوت مرتفع أردد النداء [جهارا بافتضاح] بأننی أبحث عن "نسیم الحیاة" فی الکأس المملیئة بالصفاء...! (الشواربی، ٢٠٠٩م، ج ٢: ٢١٢)

ز باده خوردن پنهان مَلول شـد حافظ به بانگِ بَربَط و نِی، رازَش آشکاره کنم

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٤١٧)

الترجمة: ولقد أصاب الملل "حافظا" لاحتسـائة الخمر فی تسـتر وخفاء فدعنی الآن أفضح سرّه علی صوت البربط والنای والغناء....!! (الشواربی، ٢٠٠٩م، ج ٢: ٢١٠)

هنـاک، فـی الأدب العربی، علاقة معنویـة وثیقة بین ملامسـة المحظور، والمجون والخلاعـة والالحاد والزندقـة، والدارس فی أحوال النواسـی عندما یبحث عنه فی کتب التاریخ والتذاکر یری اسمه دوما إلی جانب المجون والخلاعة والإلحاد والزندقة وما شابه ذلک مما له معنی قریب جداً عن کسر المعاییر و خرق الأعراف الاجتماعیة والدینیـة.

وفضلا عن ذلک کله، إن الحیاة المليئة بالملذات التی عاشـها النواسـی وفلسـفة الحیـاة التی کان یعتنقها والتی ترتکز علی معاقرة الملذات تحکی لنا عن رجل رافض للقواعد وکاسـر للأعراف وخـارق للتابوهات، حیث نراه یزدرئ طریقة حیاة العرب البدو التی کانت ترتبط بالشـح والزهد والخشـونة والرحل والتی کانت تتمحور علی الفروسـة والإغارة والغزو والنهب والسـلب، ویذمها ویکرههـا ویفضّل علیها حیاة الوداعة واللهو والسـلام والحریة والمجون، (انظر: الشـتیوی، ٢٠٠٤: ٩٧) أی الحیاة الحضاریـة التی تملأها الیونـة والهدوء والانغامس فی الملـذات والحریة والخلاعة، وهذه المضامین کثیرا ما نراه یرددها فی شـعره بجهارة.

راحَ الشَقِی عَلی الرُبوعِ یهیمُ وَالراحُ فی راحی وَرُحتُ أَهیمُ
بِمُزَمزِمـَین غَدَوا بِسُـدفَةِ لَیلَةٍ وَاللَیـلُ مُلتَبِسُ الظَلامِ یهیمُ...
فی رَوضَةٍ لَعِبَ النَعیمُ بِحورِها فَلَهُنَّ فی خَلَلِ الدیارِ رُسـومُ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٥٩-١٦٠)

مظاهر ملامسة المحظور عند النواسی

نتناول خلال هذا الباب مظاهر ملامسة المحظور عند النواسی، مستمدین من مادتین، الأولی: ما قاله الباحثون حوله؛ والأخری: دیوانه الذی یقدّم بین أیدینا ما مرّ به الشاعر طیلـة حیاتـه الأدبیة من أحوال وأفـکار تعتبر مرآة صادقة تعکـس الصورة الحقیقیة للشـاعر والمجتمع والحیاة التی عاشها الشـاعر. وحسب ما وصلنا إلیه خلال دراستنا هذه قسمنا مظاهرها عند النواسی کما یلی:

أ – ملامسة المحظور الأدبى والتى تتجسد فى ثورته على المقدمات الطللية وبناء المقدمات الخمرية

- **اترک الـربعَ وسلـمى جانبـاً (الثورة على المقدمات الطللية)**

أصبح الوقوف على الأطلال والدمن والدعوة إلى البكاء عليها لإخماد نار الشـوق للحبيب عادة فى الجاهلية، بل قانوناً صارماً، لا يتجرأ شاعر جاهلى على العدول عنه، إلا أن الوقفـة هذه كانت آنـذاک وقفة حقيقية نابعة من أعماق الشـاعر وكانت حالة شـعورية صادقة نقلها عـن صميمه، حيث تقتضيها حياته البدويـة المتنقلة بين الأودية والصحارى، ولكن بعد أن اسـتبدل سـلطان البداوة القديم بسـلطان الحضارة الجديد تغيرت أساليب الحياة والتفكير ففى مثل تلک الحالة على الشاعر الصادق أن يستوحى قواعد شعره وأصوله الفنية من الحياة التى يعيشها لا الحياة القديمة التى عاشها أجداده، إلا أنـه رغـم ذلک التغيير فـى واقع الحياة، كانـت لا تزال المقدمات الطللية سـائدة كأسلوب ومعيار أدبى فى إنشاد الشعر.

فإذن من الطبيعى أن يجىء شـاعر حى يعيش عيشة عصره ويرفض ذلک الأسلوب المهترى ولكن السـائد ويتمرد على تلک القواعـد البالية ولكن الصارمة ويخرق تلک المعايير المتهالكة ولكن المعتمدة، مسـتهدفاً بناء معايير عصرية تساير المجتمع المتحضر وروح العصر.

و كان «أبو نواس شـاعر متحضر ... يريد أن يذهب بالشـعر مذهبا يصل بينه وبين الحياة التى يحياها فى بيئته المتحضرة.» (محمد بنلحسن، ٢٠٠٧م) من هذا المنظار، علينا أن ننظر إلى دعوة أبى نواس إلى الثورة على القديم فى الشـعر وإلى التحلل من قيوده وتقاليده وإلى اسـتيحاء الشعراء أصولهم الفنية من الحياة التى كانوا يحيونها ويحسونها ويشعرون بها ولا الموروث الشعرى. لذلک نعى أبو نواس على شعراء عصره تمسكهم بما ورث الشعر من تقاليد الجاهلية كالوقوف على ديار عفت معالمها والبكاء على الأطلال والآثـار ووصف دارس الدمن وحمام يبكى على فنن ونعـت الناقة التى تقطع الطلول والدمـن، ودعاهم إلى واقع حياتهم التى كانـت تزخر بألوان من الجمال تثير عواطف إنسـان عصرهم وتذكى مشاعرهم كرَيحانَة رُكِّبَت عَلى أُذُن وقهوة عتيقة وصفراء صافية

آتية من مَعدِن وخمارة تشبه العروس تروح بها إليهم، وبيتها وظَبى أَغَنَّ ذى غَنَجٍ أُبدِعَ فيهِ طَرائِفُ الحُسن، يسعى إليهم بكأس موشح بالمزن ودعاهم إلى أن يجعلوا وصف تلك الألوان من الجمال دأبهم فى الشعر فيكونوا فيه أصيلين صادقين لا مقلدين متكلفين. (انظر: الجوارى، ١٩٩١م: ٢٩٨-٢٩٩)

دع الأطلالَ تسفيها الجنوبُ وتبلى عهد جدتها الخطوب

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ٣١)

قل لمن يبكى على رسم درسْ واقفاً ما ضرّ لو كان جلس

(المصدر نفسه: ١١٨)

لا تبكِ ليلى، ولا تطربْ إلى هندِ واشرَبْ على الوردِ من حمراءَ كالوردِ

(المصدر نفسه: ٤٢)

عاج الشقى على رسم يسائلُهُ وعُجْتُ أسأل عن خمّارة البلدِ

(المصدر نفسه: ٥٥)

- **واصطبح كرخيةً مثل القبسْ (بناء المقدمات الخمرية)**

بعد أن أنكر النواسى الأسلوب البالى القديم للمقدمة الشعرية وخرج على الحدود والقيم الشعرية القديمة، بحث عن أسلوب جديد فاختار المقدمة الخمرية عوضاً عن المقدمة الطللية مستهدفا مسايرة العصر و دعا معاصريه من الشعراء إلى العكوف على الخمر والتمتع بها والتغنى بمحاسنها فى مقدمات قصائدهم.

أَحسَنُ مِن وَصفِ دارِسِ الدِمَنِ وَمِن حَمام يبكى عَلى فَنَنِ
وَمِن دِيارٍ عَفَت مَعالِمُها رَيحانَةٌ رُكِّبَت عَلى أُذُنِ
وَقَهوَةٍ لا القَذى يخالِطُها تَأتيكَ مِن مَعدِنٍ وَمِن عَطَنِ
فَتِلكَ أَشهى مِن نَعتِ دِعبِلَةٍ وَمِن صِفاتِ الطُلولِ وَالدِمَنِ

(المصدر نفسه: ١٦١-١٦٢)

وسواء أكان هو الخالق للمقدمات الخمرية أو هو من وجدها عند الآخرين، من مثل عمرو بن كلثوم أو الأخطل أو غيره ممن سبقه[١]، فاختارها وسلكها ودعا إليها

١. انظر: سامى مهدى، ٢٠٠٩م.

معاصريه، مهما كان الأمر، يعتبر سلوكه هذا سلوكاً كاسراً للأعراف السائدة وخارقاً للمعايير الصارمة فى إنشاد القصيدة العربية آنذاك.

كما أسلفنا الذكر، ما الذى دعا أبا نواس إلى الثورة على الأطلال والدعوة إلى المقدمة الخمرية بدل المقدمة الطللية هو واقع حياته المتحضرة فلهذا حينما نلقى نظرة على قصائده نراه يأخذ صحبه نحو حانات الأكاسرة فى المدائن والتى لم يكن قد بقى منها غير أطلال، ليبكوا على أطلال الحانة والآثار التى تركها، فيها، جرّ الدنان وباقات الرياحين، الطازجة منها واليابسة وبدل أن يذكر الخيام والنؤى وما قد بقى منها، يذكر الآثار المتبقية من تلك الحانات، فهو ليس جاهلياً يعيش الأودية والصحارى لكى يأخذ بأصحابه نحو أطلال البادية ويبكون على الحبيب وديارة وما بقى منه من آثار ورسوم دارسة.

ومما لا شّك فيه أنّ دعوة النواسى إلى ترك البكاء على الأطلال الدارسة لا تخلو من السخرية والاستهزاء بأصحاب الأطلال والباكين عليها، بمن كان يسير على خطى امرئ القيس والجاهليين وهو فى عصر الحضارة، حيث نراه ينشد:

قُل لمن يبكى على رسم دَرَسْ واقفاً، ما ضرَّ لو كان جلَسْ
اترك الربعَ وسلمى جانباً واصطبح كرخيةً مثل القبسْ

(المصدر نفسه: ١١٨)

ويحقّ لنا أن نتسائل، بعد شىء من التعمّق، هل كان أبونواس يستهزئ بتقاليد الشعراء فى الوقوف على الأطلال أم كان يهزأ بالمتحجرين فى عصره؟ وقد يكون فى دعوته هذه شيء من النعى على من لا يسايره فى رفض القديم وتقاليده وتفضيل الجديد عليه، فهذا صدى الحضارة الجديدة فى شعره: (أبونواس، ٢٠٠٩م: ٢٢)

دَعِ الرَبعَ ما لِلرَبعِ فيكَ نَصيبُ وَما إِن سَبَتنى زَينَبٌ وَكَعوبُ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٠١)

عُج لِلوُقوفِ عَلى راحٍ وَرَيحانِ فَما الوُقوفُ عَلى الأَطلالِ مِن شانى

(المصدر نفسه: ١٠٣)

وهو يخاطب أبناء عصره قائلاً: إذا كان من شيء يستحق أن تقفوا عنده وتبكوا عليه

فهى هــذه الخمرة الرائعة الصافية اللطيفة لا تلك الأطلال الدارســة والأرض الخالية المجدبة:

صفراءُلاتنزلالأحزانُساحتها لو مسّــها حجــرٌ مسّته سرّاءُ
لتلك أبكــى ولا أبكى لمنزلة كانت تحــلّ بها هنــد وأسماءُ

(المصدر نفسه: ٢٧)

لا تَبكِ لِلذاهِبينَ فى الظُعُن وَلا تَقف بِالمَطِى فى الدِمَنِ
وَعُــج بِنا نَصطَبِــح مُعَتَّقَةً مِن كَفِّ ظَبى يسقيكَها فَطِن

(المصدر نفسه: ١١٧)

لا تَبكِــيَّن عَلــى رَســم وَلا طَلَلِ وَاِقصِد عُقاراً كَعَينِ الديكِ نَدمانى
صَهبــاءُ صافِيــةٌ عَــذراءُ ناصِعَةٌ لِلسُــقمِ دافِعَــةٌ مِن كَــرمِ دِهقانِ

(المصدر نفسه: ١٠٣)

ب – ملامســة المحظور الدينى والتى تتجسد فى شعره الماجن والإباحى وشعره الخمرى وتقديسه للخمرة

- **فلا خير فى اللذات من دونها سترُ (الشعر الماجن والإباحى)**

لقــد أجمع من كتبوا عن النواســى، من القدامى والمحدثين، على أن النواســى، رغم مكانتــه العالية «قد كان ماجناً، مجاهراً بالمجون، مســتمتعاً باللذة، لا يخشــى فى ذلك ســخط الأمراء ولا إنكار الفقهاء والمحدِّثين، ...، وأنه قد أخذ من الحياة لذاتها جميعاً.» (طه حســين، لاتا: ٤٤؛ المصدر نفســه: ٢٣ و٢٩–٣٠؛ شــوقى ضيــف، ١٤٣٤ق: ٧٨؛ الفاخــورى، ١٣٨٧ش: ٣٩٢ و ٣٩٤؛ حمــود، ١٩٩٤م: ١٠٣ و ١١٢؛ العقــاد، ٢٠١٣م: ٣٠ و ٤٥) وأنه عاش «عيشــة لهو وســكر واســتهتار ومجون وكان يصاحبه عصابة من المجّان يختلف وإياهم إلى الحانات حيث يقضى الزمن الطويل فى المعاقرة وسماع الغناء واللهو.» (الفاخورى، ١٣٨٧ش: ٣٩٤–٣٩٥) وكان «إباحياً غال فى الإباحة... إباحى متهتك يظهر أمره ولا يتكلف لإخفائه.» (العقاد، ٢٠١٣م: ٣٠–٣٢؛ حمود، ١٩٩٤م: ٧٨)

إذا أردنــا أن نصــوّر بعض زوايا المجتمع الذى كان يعيش فيه أبو نواس فى فقرات

قصيرة، لكی نری تأثير البيئة والمؤثرات الاجتماعية على شـخصية الشـاعر وأفكاره، فعلينا أن نلقی نظرة على أقوال الباحثين حول حياة النواسی وشخصيته وأفكاره:

يقول طه حسـين: إنّ «هؤلاء الناس الشـاكين فی كل شـیء والعابثين بكل شـیء والمسـرفين فی المجون واللهو، كانوا يجتمعون، وكانـت اجتماعاتهم ناعمة غضّة، فيها اللهـو وفيها الترف، كانوا لا يجتمعون إلا على اللذة، إلا على كأس تدار أو إثم يقترف وكانت اللذة والآثام حديثهم إذا اجتمعوا يتحدثون فيها شعراً ونثراً.» (طه حسين، لاتا: ٣٢، بتصرف)

ويقـول محمـود حمود: «إن اتصال أبی نواس بوالبة بن الحباب الأسـدی الشـاعر الكوفی الخليع أذاقه كأس الأدناس حتی الثمالة وهكذا سـرعان ما رأی نفسـه وسط عصابة المُجّان من الشـعراء، ... كما من الممكن أن ندخل فی هذه العصبة الماجنة عددا من الجواری ... لوجود نقائض بينهنّ وبين شـعراء العصبة غاية فی الفحش والمجون.» (حمود، ١٩٩٤م: ٣٠-٣١، بتصرف)[١]

وما رواه صاحب كتاب "أخبار أبی نواس" من قصص تخص علاقة النواسی بالشاعر الماجـن، والبة بن الحباب، ملؤها الخلاعة والمجون، من قصة احتكام الشـيخ اللوطی إلی النواسی وأحد أترابه، وقصة مبيته عند والبة ولبثهم على الشراب أياما فی صبوح وغبوق وما جری بينهم فی السكر أو من قصة تجميش النواسی بغلام مصری حين كان بمصـر ودخوله على الخصيب، حتی مؤاجرته فی البسـاتين والدور، (انظر: ابن منظور، ١٩٩٢م: ١٣ – ٢٠ و٣٦) كلهـا آيـات مفحمة تؤكد لنا أن الخلاعة والمجون شـائع فی عصر أبی نواس وبينه وبين أترابه وأمثاله من الشعراء الخلعاء المجان وأن أبا نواس كان رائدهم وقائدهم فی الخلاعة والمجون.

وفضلاً عمّا جاء به الباحثون حول خلاعة الشـاعر ومجونه، تُعدّ أشـعاره أبرز دليل على أن أبا نواس كان إباحياً متهتكاً:

---

١. وللمزيد انظر إلی ما رواه "طه حسين" من قصص جماعة الشعراء المجان فی الصفحة ٣٨ وما جری بين أبی نواس والأمين فی الصفحة ٣٠ وقصة عصابة المجان الذين أقاموا الصلاة سكاری، فی الصفحة ٢٣ من كتابه حديث الأربعاء.

غَدَوتُ عَلى اللَذّاتِ مُنهَتِكُ السِترِ وَأَفضَت بَناتُ السِرِّ مِنّى إلى الجَهرِ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٢١)

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمرُ ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهرُ

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها سترُ

(المصدر نفسه: ٤٤)

وإن قالوا: "حرامٌ؟" قل: "حرامٌ!" ولكن اللذاذة فى الحرام

(المصدر نفسه: ٥١٩)

أطيب اللذات ما كان جهاراً بافتضاح

(المصدر نفسه: ٥١٤)

وليس من شک فى أن شاعراً إباحياً مثل أبى نواس الذى كان ضمن عصابة شعراء كانوا يجهرون بكل فسق ارتكبوه ويعلنون مجونهم بأصدق لهجة[١]، لا يأبى أن يجهر بسخريته واستهزاءه بالثوابت والمعتقدات الدينية:

وقائلٍ هل تريدُ الحجَّ؟ قلتُ له نعم، إذا فنيت لذّاتُ بغدادِ ...

فكيف بالحجّ لى مادمتُ منغمساً فى بيت قوّادةٍ أو بيت نبّاذِ

(المصدر نفسه: ١٤١)

قالوا تنسّکَ بعد الحجّ، قلتُ لهم أرجو الإله، وأخشى طيزَنا باذا...

ما أَبعَدَ النُسکَ مِن قَلبٍ تَقَسَّمَهُ قُطرَبُّلٌ فَقُرى بَنّى فَكِلواذا

(المصدر نفسه: ٤٠)

أو نراه يستفتى الفقيه عن شرب الخمر ويطلب منه تحليله وعن الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمانة ويستهزئ بالدين وثوابته خلال تلک الأسئلة، وعلى وجه الخصوص من خلال الأجوبة التى تلقّاها عن لسان الفقيه، ولا يكتفى بهذا الحد وإنما يمدّ جناحى المجون والخلاعة ويعلو فى سماء الإباحة حتى يسأله عن الزناء بالجارة واللواط بابن الجارا!:

١. للمزيد أنظر قصة اجتماع هذه العصابة وتناشدهم وتنافسهم فى المجون التى رواها طه حسين فى حديث الأربعاء، ج ٢: ٣٧-٤٠.

قـل للعـذول بحـانـة الخـمّارِ والشـربُ عند فصاحـة الأوتارِ
إنـى قصـدتُ إلـى فقيـه عالمٍ متنسـكٍ، حَـبرٍ مـن الأحبـارِ
قلـتُ: النبيـذ تُحلُّـهُ؟ فأجاب: لا إلا عُقـاراً ترتمـى بشـرارِ
قلت: الصلاةُ؟ فقال: فرضٌ واجبٌ صلِّ الصـلاةَ وبتْ حليـفَ عُقارِ
قلـت: الصيامُ؟ فقال لـى: لا تنوِهِ واشـدُد عرى الإفطـار بالإفطارِ
قلت:المناسكُ إن حججتُ؟فقال لى: هـذا الفضـولُ وغايـةُ الإدبارِ...
فأجابنـى: لـك أن تـلـذَّ بزنيةٍ مـن جـارةٍ وتلوطَ بابـن الجـارِ
ودنـا إلى وقـال: نصحُك واجبٌ زيـنْ خصـالـك هـذه بقـمارِ!

(المصدر نفسه: ١٦٤-١٦٥)

وأحياناً نراه يقوم بنفسه بتحليل حرام أو توسيع حلال غير مستمد من عالم متنسك أو فقيه حبر، كما نراه يفضّل الذنوب النبيلة على الخطايا الخسيسـة ويستمتع باقترافها غير متندم على ما يفعل:

لا تَركَبَنَّ مِنَ الذُنوبِ خَسيسَها وَاعمَد إذا قارَفتَهـا لِلأَنبَلِ...
حَلَّلتُ لا حَرَجاً عَلَى حَرامَها وَلَرُبَّمـا وَسَّـعتُ غَـيرَ مُحَلَّـلِ

(المصدر نفسه: ١٦٣-١٦٤)

ما الذى دعا النواسى إلى اتخاذ مثل هذه المنهجية أمام المعتقدات الدينية والأعراف السـائدة فى المجتمع وهو رجل مسـلم «لم يكن قليل الخطر، ولا رجلا لا يؤبه له، وإنما كان ذا مكانة عالية، وعالية جدّاً.» (طه حسـين، لاتا: ٤٤) وأنه على هذه المكانة يهين كلّ هذه المعتقدات ويسخر منها!.

يقول طه حسين: «وكان العصر العباسى... عصر رياء ونفاق فكان لكثير من الناس مظهـران مختلفان: أحدهما للعامة والجمهور، وهو مظهر الجدّ والتقوى، والآخر للخاصة ولأنفسهم وهو مظهر اللهو والمجون الذى يخلع فيه العذار، وتترك فيه للشهوات حريتها المطلقة.» (المصدر نفسه: ٣٦)

فإذن أليس السـبب الرئيس وراء اتخاذ النواسـى منهجية رفض المعتقدات الدينية يعـود إلى ذلك المجتمـع المفعم بالرياء والنفاق؟ أليس النواسـى، وهـو فى زى ثائر

اجتماعـــى، يريد أن يصرخ بكلماته أمام هؤلاء المرائين المنافقين من طبقة علماء الدين الذين يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم ويحرّمون حلاوات الحياة على عامة الناس، وهم فى خلواتهم يغرقون فى ملذاتها! أو أمام هؤلاء الجائرين المرائين من طبقة الخلفاء الذين كانوا يعتبرون أنفســهم خلفاء الرسول؛ ينادون بالورع والزهد، وهم فى قصورهم الممتلئة بالجوارى وأنواع النعم وأصناف الخمور يعكفون على الشهوات!

أليس شــاعرنا الإباحى كان يصرخ بجهارة خلال كلمات قارســة تتجه نحو هؤلاء أصحاب الرياء والنفاق، كأنه يريد أن يسأل: "أ لا يخافون ألّا يسبق يوم الجزاء عيشُهم الحلال شرابَ النواسى الحرام؟"[١]

اِشرَب – فُديتَ – عَلانِيهْ أُمُّ التَسَتُّـرِ زانِيــهْ...
وَدَعِ التَسَــتُّرَ وَالرِيــاءَ، فَمــا هُمــا مِــن شــانِيهْ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١١٩)

وفضلاً عن شعره يرى الباحث ذلک الكفاح النواسى ضد الرياء والنفاق فى حياته وتصرفاته الشخصية، تلک التى اشتهرت بالمجون والخلاعة. والحقيقة أنه من الممكن أن ننظر إلى تلک التصرفات المسماة بالمجون والإباحة والزندقة من منظر آخر. كما أسلفنا الذكر كان للمجتمع البشرى آنذاک، كما يكون فى الآن وسيكون فى المستقبل، مظهران متناقضــان، مظهر الجد والتقوى ومظهر اللهو والمجون، وكان يتخذ المجتمع من المقدس شــعاراً للممارســة المدنس، يجادل فى المقدس ويدافع عنها علناً بينما يمارس المدنس تستراً، كان يلبس فى جلوته لباس الجد والتقوى بينما يغرق بخلوته فى اللهو والمجون، وأما النواســى وأقرانه فقد اتخذوا اتجاها معاكساً وتصرفوا خلافا لمجتمعهم حيث كانوا لهم مظهراً واحداً، وانغمسوا فى اللهو والمجون فى الخلوة والجلوة.

وأما هناک سبب آخر وارء اتخاذه هذه المنهجية هو ترقيق متانة الدين، كأنه وأقرانه يشــعر بأن الدين أصبح كياناً متيناً صلباً فرض قوته وســيطرته على جزء واســع من المجتمع فأراد أن يخففوا من تلک المتانة والصلابة المخلة بالسعة والدعة والراحة واللذة:

١. مقتبس من بيت من حافظ الشيرازى: ترسم كه صرفه اى نبرد روز بازخواست نان حلال شيخ ز آب حرام ما (حافظ، ١٣٩٥ش: ٩٠) الترجمة: وأشدّ ما أخشاه – أنه فى يوم القيامة – سوف لا يفضل أو يرجح فى الميزان خبزُ الشيخ الحلال، شرابى الحرام المعتق فى الدنان. (الشواربى، ٢٠٠٩م، ج ١: ٥٨)

أَدِر عَلَينــا أَدِر مُعَتَّقَــةً يرِقُّ مِنها صَفيقُ إِسلامى

(أبونواس، ٢٠٠٩م: ٥٧٨)

كما نرى الغرض نفسه فى معاملته الماجنة مع رمضان أفضل الشهور لدى المسلمين وشوال أكرمها قدراً:

اِســتَعِذ مِــن رَمَضانِ بِسُــلافاتِ الدِنــانِ
وَاطوِ شَوّالاً عَلى القَصــ ـفِ وَتَغريدِ القِيانِ ...
جاءَ بِالقَصــفِ وَبِالعَز فِ وَتَخليــعِ العِنــانِ
أَوفَقُ الأَشــهُرِ لى أَبــ ـعَدُهــا مِــن رَمَضانِ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٦٠)

ومهما يكن من أمر فليس سخرية النواسى من المعتقدات والأعراف الدينية استهزاء ماجن جاهل لا يعلم شيئاً من حرمة تلك المعتقدات بل هو يسخر منها لتقول ما تشاء أمام الحكام الجائرين والعلماء المرائين، بعبارة أخرى ليس سخرية النواسى الدينية إلا رفضــاً لتصرفات رجال الدين المرائين وثورة على تلك الذهنية الثنائية المتناقضة التى كانت تسود على المجتمع والتى نسميها ثنائية المقدس والمدنس.[١]

طَرِبَ الشَيخُ فَغَنّى وَاصطَبَح مِن عُقارٍ تُنهِبُ الهَمَّ الفَرَح...
شَــيخُ لَذّاتٍ نَقِــى عِرضُهُ تَحسُنُ الأَشعارُ فيهِ وَالمِدَح
لا تَــراهُ الدَهــرَ إِلّا ثَمِلــاً بَــينَ إِبريــقٍ وَزِقّ وَقَدَح

(أبونواس، ٢٠٠٩م: ٢٠٤)

- **أثن على الخـمر بآلائها (الشعر الخمرى وتقديس الخمر)**

إن حرمة الخمر فى الإسلام لا تخفى على أحد، وذلك بحكم ما جاء فى القرآن من آيات تحرم الخمر،[٢] إلا أنه رغم هذه الحرمة باتت ظاهرة شرب الخمر من أبرز الظواهر

١.إن هذه الثنائية المتناقضة للشــخصية البشرية ما نسميه بالرياء، هى هدية وتحفة تقدمه إياه الأديان والعقائد الإيديولوجية بما فيها الإلهية والدنيوية وهى موجودة سائدة فى المجتمعات البشرية إلى حين تكون الإيديولوجيات حية سائدة بين البشر.

٢. ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِــرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّــيطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يرِيدُ الشَّــيطَانُ أَن يوقِعَ بَينَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيسِرِ وَيصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّــهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠- ٩١)

فى المجتمعات الإسلامية فى مختلف أدوارها التاريخية، بل أكثرها شيوعاً فى بعض الأدوار ومنها العصر العباسى و«كانت قد انتشرت عادتها فى البلاد الإسلامية وانبثّت حاناتها... بعيدة عن عيون الشرطة، وعن عيون المتزمتين وأصحاب الرصانة... وكانت تلك الحانات مباءة لأهل البطالة.» (الفاخورى، ١٣٨٧ش: ٣٨٩- ٣٩٠، بتصرف)

هذه كانت قصة الخمر فى واقع الحياة بالبلاد الإسلامية وأما قصتها فى عالم الأدب فكانت أروع من ذلك فأصبحت الخمر مادة دسمة شهية للشعر وتزاحم الشعراء على وصفها والتغنى بها وتنافسوا فى الإجادة والإكثار فيه حتى وصلت الخمر، خاصة فى الشعر الصوفى، إلى مكانتة فريدة لا تضاهيها شىء حيث كانوا يقدسونها ويعبدونها و"كان أبو نواس صاحب عصبة من طلاب اللهو، يتردد إلى الحانات حينا وإلى الديورة حينا آخر فيشرب ثم يندفع فى التغنّى بالخمر ووصف السكر متفننا فى كلا الوصف والغناء.» (المصدر نفسه)

اترُكِ الأَطلالَ لا تَعبَأ بِها إِنَّها مِن كُلِّ بُؤسٍ دانِيه
وَاشرَبِ الخَمرَ عَلى تَحريمِها إِنَّما دُنياكَ دارٌ فانِيه

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٠٨)

وانغمس النواسى فى حب الخمر وشربها إلى حد أتلف ما ورث وما اكتسب وكان يضطر فى كثير من الأحيان إلى رهن ملابسه للخمار:

فَإِن تَكُنِ الصَهباءُ أَودَت بِتالِدى فَلَم توقِنى أُكرومَتى وَحَيائى
فَما رِمتُهُ حَتّى أَتى دونَ ماحَوَت يمينِى حَتّى رَيطَتى وَحِذائى

(المصدر نفسه: ٣٠٧)

كما يضطر فى أحيانا أخرى إلى أن يجعل نفسه رهينة للخمار:

وَخَمّارَةٍ لِلَّهوِ فيها بَقِيةٌ إِلَيها ثَلاثاً نَحوَ حانَتِها سِرنا...
فَقُلتُ لَها جِئنا وَفى المالِ قِلَّةٌ فَهَل لَكِ فى أَن تَقبَلى بَعضَنا رَهنا
فَقالَت لَنا أَنتَ الرَهينَةُ فى يدى مَتى لَم يفوا بِالمالِ خلَّدتُكَ السِجنا

(أبونواس، ٢٠٠٩م: ٦٤١-٦٤٢)

ولنرَ كيف يبرّر الشاعر الإباحى معاقرته للخمر بمسوغات جميلة استمدها من الدين:

أترك التقصير فى الشـر بِ وخـذهـا بنشـاطِ...
لمْ – وعفـو الله مبـذو لٌ غـداً عند الصـراطِ-
ما خُلـق الغفـرانُ إلا لامرئ فى الناس خاطى

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ١٥١)

أو ما أنشده مجاوباً لشيخ المعتزلة، النظام الذى ألف أن ينهاه عن أفعاله ويقول له إن الكبائر مخلدات فى النار، معرّضاً به وبعلمه:

فقُل لمن يـدّعى فى العلـم فلسفةً: حفظتَ شيئاً، وغابت عنک أشياءُ
لا تحظر العفوَ إن كنت امرأً حرجاً فإن حظـرَكَـهُ فى الـدين إزراءُ

(أبونواس، ٢٠٠٩م: ٥٦)

وأكثر النواسى فى وصف الخمر وأحسن فيه بل اجتاز حد الحب والشرب والوصف وكان يعبدها ويقدسها. (انظر: طه حسين، لا تا: ٧١ و ٨٦-٨٧ و ٩٣)

انظر إلى هذه الأبيات ألا تشعر بأنها صلاة إلى الخمر وتسبيح وتقديس لها؟

أثن على الخـمر بآلائها وسمّـها أحسـن أسمائها...
والخمر قد يشربها معشر ليسوا إذا عدّوا بأكفائها

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ٣٠)

ولكن ما هو هدف النواسـى من وراء وصفه للخمر؟ هذا سـؤال حاول الكثيرون الإجابة عنه، يرى طه حسين: «أن وصف أبى نواس للخمر كان وسيلة إلى إعلان رأيه فى تجديد الأدب وإعلان مذهبه فى المجون وإعلان ما يكن للخمر من حبّ وما يختصها به من كلف.» (طه حسين، لاتا: ١٠٣)

ويرى الغزالى: أن شـعره فى الخمر «صدى للثورة التـى نادى بها للتحرر من ربقة القـديم وسـلطان القيود التى ربطت النـاس إذ ذاک بكل ما هو عربـى.» (أبو نواس، ٢٠٠٧م: ١٧، بتصرف)

ويذهب هادى بور إلى أن النواسى «يحاول أن يخلق من خلال الخمرة مذهباً شعرياً جديـداً يطرح من خلاله قيماً وأعرافاً جديدة وهى من وحى حياته الحاضرة وليسـت من وحيِ حياة أسلافه.» (هادى بور، ٢٠١٧م) كما يقول: «فإذا كان أصحاب المواهب

الصغيرة ... قـد اختاروا طريق الرياء والنفاق واختـاروا طريق التملق لأرباب الجاه والثراء...، فإن أبانواس قد اختار الاتجاه المعاكس... واختار من شـعره الخمرى وسيلة للتعبير عن موقفه الفكرى والسياسى والإبداعى مستهينا بكل الأعراف البالية.» (هادى بور، ٢٠١٦م: ٤٠)

ونحن نعتقد أنه صحيح أن النواسـى اسـتخدم شـعره الخمرى كوسيلة للإعلان عن كفاحـه ضـد كل ما هو قديم وإعلان مدى شـغفه بالحرية إلا أنـه فضلا عن ذلك كان يريد من خلال خمرياته خرق المعايير الدينية الصارمة والسـخرية والاستهزاء بالثوابت الدينية والتقليل من سلطان الدين وترقيق جلاله ومخالفة تصرفات رجال الدين المرائين والثورة على الرياء السائد فى المجتمع.

ج – ملامسة المحظور الاجتماعى والأخلاقى، والذى يتجسد فى ازدرائه للعرب وإيثاره الفرس عليهم، والتغزل بالغلمان

- **فأين البدوُ من إيوان كِسرى (إزدراء العرب وإيثار الفرس عليهم)**

علـى الرغم من مناداة الإسـلام بهدم الفوارق العصبية للقبائل والفوارق الجنسـية والقومية للشـعوب عادت العصبيات القبلية خلال عصر بنى أمية إلى سابق عهدها من العصر الجاهلى، وإلى جانب هذه العودة الكريهة، جاء سـوء معاملة الأمويين للموالى ليسـاهم فى زرع الحقد والكراهية للعرب ويثمر فى ظهور الشـعوبية التى كانت تتمثل فـى إزدراء العرب وتفضيل الفرس عليهم، كما تمخـض عنها، أخيراً، انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين وتولى الفرس مقاليد الأمور.

وفى مثل تلك الأجواء ترعرع أبو نواس وهو كان ذا عرق فارسـى وكان شـاعراً متحضراً يحب حياة الحضارة ورقتهـا التى كانت تجلى حياة الفرس وآدابها وتقاليدها، وينفر من حياة البدواة وشقائها.

يقـول حنـا الفاخورى رغم أن النواسـى لم يكن من المطبوعين علـى الهجاء لكنه «كان كثـيراً ما يوجّه هجاءه إلى العرب عمومـاً ويحارب بنوع خاص عقلية الأعراب القدماء...، فيفضح ما فيها من سـخف وذلّة وما فى حياتهم من جفاء وخشـونة وضعة

منفّـرة.» (الفاخـوری، ١٣٨٧ش: ٤٠٢، بتصرف) کما یری أنه فی قصائده السیاسـیة والخمریة یظهر میله الفارسـی، أو علی الأقل، یظهر قلة اعتداده بالعرب، ویجهر بشغفه الجـمّ بالحیاة الجدیدة الواقعیة، وبازدرائه الذین لم یعرفوا تلک الحیاة ونعومتها وترفها أو الذین عرفوها وراحوا، مع ذلک، یتغنون بحیاة البادیة وشـقائها وخشـونتها. ویتمیز هجاؤه بمیزات منها «تلک المجاهرة بازدراء العرب والعقلیة العربیة، والدعاء إلی التمتع بالحیـاة الحدیثة الواقعیة اللاهیة، وعدم الخشـیة من مدح الأعاجم ولاسـیما الفرس منهم.» (المصدر نفسه: ٤٠٣)

وفیمـا یلی نأتی بنماذج من قصائده التی تتسـم بنزعة الشـعوبیة وأفضلیة الفرس علی العرب وأفضلیة حیاتهم المترفة الناعمة وآدابها علی حیاة البداوة الخشـنة الجافة وتقالیدها:

قالوا ذکرتَ دیارَ الحی من بنی أسدٍ ... لا درَّ درُّک، قل لی: من بنـو أسدِ؟
ومن تمیـمٌ؟ ومن قیـسٌ وإخوتهم؟ ... لیس الأعاریب عـند الله من أحدِ

(أبونواس، ٢٠٠٧م: ٥٥)

ومـا شرّفتـنی کنیـةٌ عربیـةٌ ... ولا أکسـبتنی لاسناء ولا فـخرا

(المصدر نفسه: ٦٦)

انظر إلیه کیف یحقر القبائل العربیة من بنی أسـد وتمیم وقیس التی تعتبر من مفاخر العـرب وبل یطعن فی العرب عموماً ویعرّض بهم! أنظر کیف یسـخر من العرب؟! أنظر إلـی الأبیات التالیة ألا تراه یجهر بشـفعه بالفرس وأرضهم فی حین کان یجهر بازدرائه للعرب فی الأبیات السابقة؟

تُدارُ علینـا الـراحُ فی عسجـدیةٍ ... حبتـها بألـوان التصاویر فارسُ
قرارتُـها کـسری وفی جنـاباتها ... مهیً تدّریـتها بالقسی الفوارسُ

(المصدر نفسه: ٤٩)

تراثُ أنوشروانَ کسری، ولم تکن ... مواریثَ ما أبقـت تمیمٌ ولا بکرُ

(المصدر نفسه: ٩٥)

انظر کیف آثر التراث الفارسـی وکیفیة عیش الفرس وتفکیرهم علی عیشة العرب

وتفكيرهم، وكيف يسخر من كيفية عيش العرب؟ وكيف يقارن بين حياة الفرس وترفها وحياة العرب وجدبها؟

دع الأطلالَ تسفيها الجنوبُ وتبكى عهد جدّتها الخطوبُ
بلادٌ نبتُها عشرٌ وطلحٌ وأكثرُ صيدها ضبعٌ وذيبُ
ولا تأخذ عن الأعرابِ لهواً ولا عيشاً فعيشُهمُ جديبُ...
فأين البدوُ من إيوان كِسرى وأينَ من الميادين الزُّرُوبُ؟!

(المصدر نفسه: ٣١)

نعم هذه هى أطلال أبى نواس التى تدعو أصحابها إلى الوقوف والبكاء عليها، وليس يرفض البكاء على رسوم ديار الحبيب المندرسة وتقاليد العرب القديمة البالية فحسب، بل يجهر بميله إلى الفرس وإعجابه بهم وحنينه إلى عهدهم القديم.

ببلدة لم تصل كلبٌ بها طنباً إلى خباء ولا عبسٌ وذبيانُ
ليست لذُهلٍ ولا شيبانها وطناً لكنها لبنى الأحرار أوطان
أرض تبنّى بها كسرى دساكره فما بها من بنى الرعناء إنسان
وما بها من هشيم العرب عرفجةٌ ولا بها من غذاء العرب حطبان

(المصدر نفسه: ١٧-١٨)

وفى إحدى قصائده نرى أنه شبه الكرم الذى يحظى به بمنزلة جليلة، حيث إنه يعدَ أم الخمرة التى يعبدها ويقدسها، ببنات كسرى اللواتى هن خير بنات ولهنّ الأفضلية على البنات العربيات، الأمر الذى يؤكد حبّه للفرس والفخر بآبائه.

يا أيها العاذلُ دع ملحاتى والوصف للموماةِ والفلاةِ...
بناتِ كسرى خيرِ ما بناتٍ جُلبنَ من هِيتٍ ومن عانات
محتجباتٍ غيرَ باديات إلا بأن تُجلَبنَ بالطاسات

(المصدر نفسه: ١٤٠)

وأما ما الغرض وراء هذا الكفاح ضد العرب؟ ننظر إلى الموضوع من منظرين: الأول وهو السلوك الذى اختاره الشاعر للحياة إى السلوك العصرى ونحن نعلم أنه ترعرع فى أجواء حضارية رقيقة ناعمة بعيدة عن شقاء البداوة وخشونتها فمن الطبيعى

أن يحب حياة الحضارة ورقتها، وينفر من حياة البدواة وشقائه ويجهر بشغفه الجمّ بالحياة الجديدة الواقعية، وبازدرائه الذين لم يعرفوا تلك الحياة ونعومتها وترفها. والثانی: أنه فی الحقيقة ليس كفاح النواسی هذا ضد العرب بل ضد العروبة تلك النهضة المبنية على التعصبات القبلية التی تفضل العرب على العجم، هذا السلوک الذی ساد فی المجتمع العربی الإسلامی رغم تأكيد الإسلام على المساوات بين العرب والعجم والأسود والأبيض، فإذن يدخل كفاحه هذا ضمن مقولة رفض التقاليد البالية وكسر المعايير الخاطئة وخرق التابوهات والخطوط الحمراء المفروضة على المجتمع.

- **غَنيتُ عَنِ الكَواعِبِ بِالغُلام (التغزل بالغلمان)**

رغم أن العلاقة الجنسية بين الرجال (وكذلک بين النساء) والحوار فی هذا الموضوع كان يعد دوماً من أكبر التابوهات فی المجتمع، فقد كان الإنشاد فی موضوع العلاقات الجنسية بين الرجال أمراً شائعاً منذ القديم، حيث نرى بواكير التغزل بالمذكر فی الأدب العربی منذ القرن الثانی للهجرة.

يرى البعض أن ظاهرة التغزل بالغلمان لم تكن معروفة قبل العصر العباسی وإنما هو أثر من آثار الحضارة العباسية وربما كان من أسباب شيوعه كثرة الغلمان الخصيان فی بغداد وغيرها من مدن العراق. (أنظر: طه حسين، لا تا:٣٢؛ شوقی ضيف، ١٤٣٤ق: ٧٣) «فقد كان السقاة الغلمان مداراً لأكثر أشعار أبی نواس والحسين بن الضحاک وسائر أفراد عصبة المجان.» (حمود، ١٩٩٤م: ١٦٨)

غَنيتُ عَنِ الكَواعِبِ بِالغُلام وَعَن شُربِ المُرَوَّقِ بِالمُدامِ

(أبونواس، ٢٠٠٩: ٦١٥)

إنّی صرفتُ الهوَی إلی قمَرِ لا يتحدّی العُيونَ بالنّظَرِ
إذا تأمّلتَهُ تعاظَمَکَ الإ قْرَارُ فی أنّهُ من البَشَرِ
ثم يعودُ الإنكارُ معرفةً منکَ إذا قستَه إلی الصورِ
مُباحةٌ ساحةُ القلوبِ لهُ، يأخذُ منْها أطايبَ الثّمر

(أبونواس، ٢٠٠٧: ١٩٣)

قل لذی الطّرفِ الخَلوبِ، ولِذی الوجهِ الغَضُوبِ

ولمـــن يثـنـــى إليـــهِ ال حســـنُ أعنـاقَ القـلوبِ
يـــا قضـيبَ البـــانِ يهـتزّ عـلى ضِـعْـسٍ كثـيبِ...
قـفْ إذا جِئْـــتَ إليـنا، ثمّ سـلّـمْ يـا حَبـيـبـى

(المصدر نفسه: ٢٣٧)

ويقول حنا الفاخورى: «إن لأبى نواس صنفاً آخر من الغزل، يكاد يكون جديداً فى الأدب العربى، لأنه صورة لظاهرة جديدة فى الحياة الاجتماعية العباسية وهو التشبيب بالغلمان... فكان أبونواس يندفع إلى التغزل بهم عن عاطفة مشـبوبة... ومن ثمّ فقد تهيأ له أن يعدّ من أول مبتدعى باب الغزل المذكّر عند العرب وأشـهر أعلامه.» (الفاخورى، ١٣٨٧ش: ٤٠٥)

ويقول الغزالى: «ولا يفوتنا أن نقرر أنه فى طليعة من ابتدعوا فن الغزل بالمذكر وهو يعيب على الأعراب أنهم لم يعرفوا هذا النوع من العشق فى قصيدته التى يقول فيها:

دع الطلل الذى اندثرا يقاسى الريح والمطرا...
لو أن مرقّـشـاً حـى تعـلـق قلـبـه ذكـرا
وأيقـــن أنّ حـبّ المُر د يلقى سـهله وعـرا»

(أبونواس، ٢٠٠٧: ١٨)

ومهما يكن من أمر فتغزل النواسـى بالمذكر أثار زوبعـة كلامية كبيرة بين الباحثين والنقـاد حيث يعتقد الاسـتاذ طه حسـين أن النواسـى كان يجيد الغـزل «حين يتغزل بالغلمان، لكنه فاتر ... حين يتغزل بالنساء.» (طه حسين، لاتا: ١١٢) أو يرى الفاخورى: أن النواسـى كان يندفع إلى التغزل بالغلمان عن عاطفة مشـبوبة «فيأتى غزله [فيهم] جامعاً من الرشـاقة والحيوية واضطرام الشعور.» (الفاخورى، ١٣٨٧ش: ٤٠٥) ويرى الغزالى وهو محقق ديوانه: أنه يعانى من عقدة نفسـية تصرف مشـاعره وتحدد علاقاته بالناس وتسـبب فى تفضيله الغلمان على النسـاء. (انظر: ابو نواس، ٢٠٠٧م: ١٣) كما يرى العقاد: أن النرجسية هى العقدة النفسية التى «تفسر غرامه الفاعل والمنفعل، وتفسر غرامه بالنساء وكل ما عرف عنه من الشذوذات الجنسية.» (العقاد، ٢٠١٣م: ٩٩-١٠٠)

ونحن نعتقد أنه مهما كان السـبب فالمهم أن تلك الظاهرة كانت شـائعة فى المجتمع

العباسى وكانت ضمن واقع الحياة آنذاك فإذن من الطبيعى أن شاعراً إباحياً ماجناً مثل أبى نواس الذى كان يعوج دوماً على خمّارات البلد وكان يصحبه دوماً الخمار والساقى أن يكثر فى وصف هؤلاء السقاة وأن يكون هؤلاء السقات الغلمان مداراً لأشعاره.

كما نعتقد أنه من الممكن أن ننظر إلى ظاهرة التغزل بالغلمان وكذلك سائر ظواهر رفضه التى درسناها خلال دراستنا هذه، من منظر نفسى– اجتماعى حيث نستطيع أن نرى النواسى، من هذا المنظر، شاعراً ناقداً شاذاً فى سلوكه يرفض المعايير السائدة فى المجتمع ويكسر الأعراف الصارمة ويخرق التابوهات بما فيها الأدبية والاجتماعية والدينية من خلال سلوكه الحيوى والشعرى وهذا هو ما درسناه فى طيات دراستنا هذه، فنرى أن ثورته على المقدمات الطللية وبناء المقدمات الخمرية بديلاً لها وسلوكه وشعره الماجنين وشعره الخمرى وإزدراءه للعرب وإيثار الفرس عليهم وتغزله بالغلمان، كلها، تأتى ضمن كفاحه المنظم والمبرمج ضد أعراف ومعايير كان يراها خاطئة غير سليمة وضارة تتفشى فى جميع أرجاء البلاد الإسلامية كفيروس نقص مناعة المجتمع أو يهددها على الأقل.

دواعى ملامسة المحظور عند النواسى

إنّ أسباب التمرد قد تتباين وقد تختلف من شاعر إلى آخر بحسب الميل النفسى أو الانتماء الإديولوجى أو التكوين الثقافى، لنرى ما هى أسباب التمرد عند شاعرنا الذى من الممكن أن نعطيه لقب «زعيم المتمردين» فى العصر العباسى.

يقسم الفاخورى العوامل التى دفعت أبا نواس إلى التجديد ورفض القديم وكل ما يتعلق بالقديم إلى العوامل الخارجية والنفسية ويعتقد أن أهمها هى:

- فى الحياة الجديدة تحطيم قيود وإطلاق حريات وخروج على التقاليد، وأبو نواس مغرم بالانطلاق والشذوذ.
- فى الأوضاع الاجتماعية فشت الخلاعة والإباحة والمجون، وفى نفس إبى نواس اندفاع طبيعى جارف إليها.

- وفى السياسة احتدم النزاع بين العرب والأعاجم فكان من ناحية، المتحزبون للعروبة ومن أخرى أنصار الشعوبية وكان أبو نواس ذا عرق فارسى أو مغمور النسب لا يقيده إيثار عرقى....
- وفى العلم والفلسفة آراء ومذاهب جديدة أجنبية... وأبو نواس مغرم بالعلم والفلسفة و.... (انظر: الفاخورى، ١٣٨٧ش: ٤٠٠-٤٠١)

هذا هو رأى أكثر الباحثين حول صاحبنا، أجملناه فيما نقلناه عن الفاخورى. إلا أن العقاد وهو الذى قام بدراسة شخصية النواسى من المنظور النفسى يرى أن العامل الرئيس الذى دفع النواسى إلى ملامسة المحظور هو العقدة النفسية التى يعانى منها النواسى، حيث يقول: «صحيح أن العصر الذى عاش فيه أبونواس كان معترك الأنساب والأحساب... وصحيح أن العرب أنفسهم كانوا فيما بينهم يتنازعون الفخار... إلا أنه ليس لهج النواسى بالنعى على الطلول دعوة إلى الجديد،... فالأطلال لا تهمّه إذن إلا ليستطرد منها إلى عقدته وإلى التنفيس عنها بالخمر...» (العقاد، ٢٠١٣م: ١١٦ و ١٢٢) وفى النهاية يقوم بإصدار حكمه النهائى بحق النواسى قائلاً: إن النرجسية هى التى «تفسر كل عادة من عادات الحسن بن هانىء ... وكل نزعة من نزعاته،... وتفسر غرامه بالنساء وكل ما عرف عنه من الشذوذات الجنسية وتفسر ولعه بالعرض والعلانية واستهتاره بسوء القالة.» (المصدر نفسه: ١٠٠)

يبدو أن ما ذهب إليه العقاد ليس بصحيح وما ذهب إليه الآخرون من أمثال الفاخورى إن كان أقرب من الواقع لن يقنعنا كثيراً، حيث نجد فى تلك الحياة الجديدة الحرّة وتلك الأوضاع الإجتماعية الممتلئة بالإباحة والخلاعة والأوضاع السياسية الكثيرة النزاع شعراء كثيرين يعاصرون النواسى ويعيشون نفس الظروف التى عاشها النواسى إلا أنهم لم يكونوا يرفضون مثله كل ما يتعلق بالحياة العربية أدبياً أو اجتماعياً أو دينياً، كما لم يكونوا يذهبون مذهبه فى ملامسة المحظور، فما الدافع عند النواسى؟ أ ليس يريد أن يثور على واقع المجتمع الفاسد الذى كان يعيشه؟ أليس إزدرائه للعادات البالية التى كانت تسود المجتمع يدفعه إلى اتخاذ تلك المنهجية؟ فى الحقيقة هذا هو ما يتوقع من شخصية النواسى العالم والعارف بحقيقة القضايا والإباحى المستهتر والثائر

الاجتماعى، كما نرى الشاعر الإيرانى العالمى، حافظ الشيرازى قد اتخذ تلك المنهجية أمام الأوضاع الاجتماعية الممتلئة بالرياء والنفاق وغيرهما من الرذائل الأخلاقية.

النتيجة

نسطيع أن نقسم الأسباب الرئيسة لملامسة المحظور عند النواسى إلى الأسباب التاريخية – الاجتماعية والأسباب النفسية فبرأينا ليست ملامسة المحظور، إذن، عند أبى نواس هاجساً نفسياً أو انفعالاً عاطفياً يستجيب لدوافع ذاتية عابرة أو زئبقية متغيرة، بل هو فلسفة نابعة من ضمير شاعر عاش واقع حياته ومن روح متمرد طالب للحرية وحاول أن يعكس المشهد الحقيقى لتلك الحياة وذلك المجتمع ويصوره صورة أمينة واقعية تتمثل واقع الحياة.

ونرى أن النواسى ضمن ملامسته للمحظور، سواءً أكان فكراً وعقيدة، أو أسلوب حياة، أو أسلوب بيان، والذى يتمثل، حسب دراستنا هذه، فى ثورته على المقدمات الطللية وبناءه المقدمات الخمرية وشغفه الوافر بالخمرة والذى جعل الخمرة لديه مهبط التقديس والعبادة، وكفاحه ضد الأعراف السائدة والتقاليد الصارمة، والثوابت، اجتماعية كانت أو دينية (ونعنى بها مجونه وخلاعته وإباحيته وتغزله بالغلمان وثورته ضد العروبة)، كان يستهدف إثارة كفاح مبرمج شامل ضد كل بالى مهترئ لا ينتج إلا عناءً له ولمن يريد أن يعيش مثله عيشة عصرية.

كما نرى منطلق ملامسته للمحظور (هروبه من التقاليد، ورفضه للمعايير وكسره للأعراف وتحطيمه للتابوهات) هو القوّة المستمدّة من العلم والفكر والثقافة والشجاعة، ولا الضعف الناتج عن الحالات النفسية التى انتسبها إليه بعض الباحثين من مثل العقاد ولا فقد أو نقص انتسبه إليه من اتهمواه بالزندقة والمجون والإباحة.

كذلك نرى أن ملامسته للمحظور ناتج عن:

- نفسية الشاعر التى هى نفسية ثائرة محتنقة من الأوضاع الاجتماعية الممتلئة بأنواع العادات القديمة البالية والرذائل الأخلاقية مثل الرياء والعصبية، إلى جانب كونه عاشقاً للحياة العصرية جعلته يثور على كل البالى بما فيها ادبياً أو

اجتماعياً.

- دوره كناقد اجتماعى عالم بأمراض اجتماعية تفشت فى مجتمعه يرى أن القيم والمعايير كانت تتقلب فى مجتمعه، لقد ساد الرياء والنفاق وتعززت العصبية والتكبر والمفاخرة وتذللت الصداقة والمساواة وتدنست القيم الصحيحة وتدمرت، فقام بكفاح ضد تلك الأعراف والقيم غير الصحيحة التى سادت بين المجتمع هادفاً إلى بناء قيم وأعراف جديدة تناسب إنسان عصره.
- كون المجتمع مصاباً بأنواع الأمراض الاجتماعية والأخلاقية مثل الرياء والعصبية والمفاخرة وغيرها من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التى يراها النواسى أخطر وأقذر من الأمراض التى حذر رجل الدين المجتمع منها مثل الانغماس فى الملذات وارتكاب ما سماه الدين محرماً.

كما بدى لنا أن التمرد هو مقتضى عصره، فملامسة المحظور بأشمله، كما أسلفنا الذكر، ابن البيئة العباسية المتحضرة التى استبدلت فيها مظاهر البداوة والجدب والخشونة بالحضارة والترف واللين، والفكر البدوى الساذج المعتمد على اليقين الصادق بالفكر الحضرى المعقد المعتمد على الشك الصارخ، والفكر البدوى القائم على رابط قرابة الدم والعصبية القبلية والعنصرية وأفضلية العرب على العجم وكل ما يتعلق بهذه العقيدة بالفكر الحر القائم على التساهل والتسامح.

جملة القول أن النواسى وغيره من الشعراء الذين حذوا حذوه وذهبوا مذهبه فى رفض التقاليد وكسر المعايير وخرق التابوهات، ومنهم حافظ الشيرازى فى الأدب الفارسى، يعتبر ضمن المفكرين الأحرار الثائرين على التقاليد الخارقين للمعايير الذين اجتازوا الإطارات المنحوتة الهشيمة وهاربوا من السلوكيات والتقاليد والأعراف البالية المقبولة لدى المجتمع ورفضوها وبل كافحوها وخرقوها ليبنوا معايير جديدة، مستهدفين بناء عالم مثالى أنقى وأنظف من العالم الحالى، من نسميهم بالمدمرين للمعايير البانين للعالم.

ومما يلفت النظر أثناء دراستنا هو أن جميع تلك المفاهيم والمضامين التى جعلناها ضمن مظاهر ملامسة المحظور فى الشعر النواسى من الثورة على الأطلال القديمة

والدعوة إلى الإقبال على أساليب حياة الحاضرة الجديدة، بين تحقير العرب وتقاليد حياتهم الجافية وتفضيل الفرس وأساليب حياتهم الراقية عليهم والمجون والإباحة والاستهتار والسخرية والاستهزاء بالتقاليد والثوابت الدينية، كلها، جمعها النواسى فى قصائده الخمرية كأن تلك القصائد هى التى أراد النواسى أن يبث من خلالها أفكاره، وبل فلسفته التى بإمكاننا أن نلخصها فى مسايرة الواقع وازدراء الغرور ومخالفة الرياء دينياً كان أم اجتماعياً أو أدبياً واغتنام الفرصة والتمتع بلذات الحياة ونعم العيش والاعتماد على عفو الله وهى فلسفة نراها فى أشعار عمر الخيام النيسابورى وحافظ الشيرازى.

وفضلاً عن ذلك، فإن أكثر ما كان يلفت نظرنا طيلة دراستنا هذه هو المضامين والأفكار المشتركة بين النواسى والشاعر الإيرانى العالمى، حافظ الشيرازى، التى نستطيع أن نقسمها فى النظرة الإجمالية الأولى إلى ما يلى:

- وصف الخمر بل تقديسها لديهما إلى حد يقرّ كلا الشاعرين بعبادتها.
- التعزل بالمذكر.
- الاستهزاء بالمعتقدات الدينية ومخالفة رجال الدين والسخرية من المظاهر الدينية.
- مخالفة الرياء والنفاق السائد فى المجتمع الإسلامى.

ومما أثار تعجبنا أن حافظ الشيرازى رغم كثرة خمرياته وشغفه بوصفها، بل تقديسها وعبادتها ورغم تغزله بالمذكر واستهزائه بالدين وسخريته من مظاهره وغيرها من المشتركات التى لاحظناها بينه وبين النواسى لم يجرؤ الباحثون على اتهامه بالمجون والخلاعة، بل كل ذلك أولاه اعتباراً عالمياً وأقام له وزناً ودفع الباحثين إلى أن يجمعوا على أنه مصلح اجتماعى كبير إلا أن الأشياء نفسها عند أبى نواس دفعت الباحثين إلى أن يوجهوا أصابع الاتهام نحوه بالزندقة والكفر والمجون والخلاعة وما فيها من الصفات السلبية الرديئة!

أليس السبب يعود إلى نفسية الباحثين وإزدرائهم للنواسى بسبب أفكاره التى تفضل الفرس على العرب والتى يجعلها البعض ضمن مفهوم الشعوبية؟ أليس يعود إلى جنسيته

غـير العربية؟ أو مذهبـه؟ أو عصيانه وتمرده ومخالفته لفقهاء السـلاطين؟ ومن مثل هذه التساؤلات التى تتطلب دراستها مجالاً آخر.

والمجال مفتوح والآفاق واسـعة أمام الباحثين للمقارنة بين الشاعرين والبحث عن أسـباب ذلک الفرق الشاسع بين الانطباعات التى تركها الشاعران فى أذهان الباحثين رغم الاشتراكات التى تجمع بينهما والتى أشرنا إليها آنفاً بالإجمال.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابـن منظـور، محمد بن مكرم. (١٩٩٢م). أخبار أبى نواس (ملحق الأغانى). ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو نواس، الحسـن بن هانى. (٢٠٠٣م). ديوان إبى نواس، تحقيق وشـرح سليم خليل قهوجى. ط ١. بيروت: دار الجيل.

_____. (٢٠٠٧م). ديـوان إبـى نواس، تحقيق أحمد عبد المجيـد الغزالى. ط (لا رق). بيروت: دار الكتاب العربى.

_____. (٢٠٠٩م). ديـوان إبـى نواس، تحقيق محمد أنيس مهـرات. ط ١. حمص: دار مهرات للعلوم.

الجوارى، أحمد عبدالسـتار. (١٩٩١م) الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى. ط ٢. بغداد: مطبعة المجمع العلمى العراقى.

حافظ، شمس الدين محمد. (١٣٩٥ش). ديوان حافظ، به سعى سايه (جيبى). ط ١٨. تهران: كارنامه.

حسين، طه. (لا تا) حديث الأربعاء، المجلد الثانى. ط ١١. مصر: دار المعارف.

حمود، محمد. (١٩٩٤م). أبو نواس شاعر الخطيئة والغفران. ط ١. بيروت: دار الفكر اللبنانى.

ضيف، شوقى. (١٤٣٤ق). تاريخ الأدب العربى، المجلد الثالث. ط ٤. قم: ذوى القربى.

الشـواربى، أبراهيم أمين. (٢٠٠٩م).أغانى الشـيراز أو ديوان حافظ الشيرازى. ط ٢. القاهرة: مركز القومى للترجمة.

العقاد، عباس محمود. (٢٠١٣م). أبو نواس، القاهرة: هنداوى.

عز الدين، إسماعيل. (١٩٨٥). الشعر فى إطار العصر الثورى، ط ٢. بيروت: دار الحداثة.

الفاخورى، حنا. (١٣٨٧ش). تاريخ الأدب العربى، ط ٥. طهران: توس.

الأطاريح

بغوره، محمد الصديق. (٢٠١٢-٢٠١٣م). "نزعة الرفض وأثرها فى تشكيل الشعر العباسى، أبو العتاهية

وأبونواس وأبو تمام أنموذجا، دراسة أسلوبية". أطروحة الدكتوراه، جامعة سطيف ٢.
طحيمر العلى، فيصل حسين. (٢٠٠٤م). "التمرد فى شعر العصر العباسى الأول". أطروحة الدكتوراه. جامعة مؤتة.

الدوريات

سعيدى، محمد. (٢٠٠٨م) "الرفض فى الشعر العربى المعاصر". مجلة الآداب واللغات. العدد ٧. صص ١٢٩-١٤٠.
صالح على سليم الشتيوى. (٢٠٠٤م). "ظواهر من التمرد فى نماذج من الشعر العباسى الأول". مجلة جامعة دمشق. العدد ١+٢. صص ٨٥-١٢١.
هادى بور، يوسف. (٢٠١٦م) "نقد آراء النُقّاد القدامى والمُحدثين حول النواسى". فصلية إضاءات نقدية، السنة السادسة. العدد ٢١. صص ٩-٤٢.

البحوث الإنترنتية

بنلحسن، محمد. (٢٠٠٧م) "بناء القصيدة عند أبى نواس.. المقدمات بين الحضور والغياب" موقع ستارتايمز.
http://www.startimes.com/?t=7045193
سامى، مهدى. (٢٠٠٩م). "خمريات أبى نؤاس بين التقليد والابتكار". موقع القدس.
https://www.alquds.co.uk
هادى بور، يوسف. (٢٠١١م). "خمريات أبى نواس دراسة فى المضمون". موقع ديوان العرب.
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article28203